منى تنهزم الظلال؟

١ / جبل المر وتل اللبان

" حَبِيبِي لِي وَأَنَا لَهُ. الرَّاعِي بَيْنَ السَّوْسَنِ. إِلَى أَنْ يَفِيحَ النَّهَارُ وَتَنْهَزِمَ الظِّلاَلُ، ارْجِعْ وَأَشْبِهْ يَا حَبِيبِي الظَّبْيَ أَوْ غُفْرَ الأَيَائِلِ عَلَى الْجِبَالِ الْمُشَعَّبَةِ."

(نش ٢: ١٦ ، ١٧)

" إِلَى أَنْ يَفِيحَ النَّهَارُ وَتَنْهَزِمَ الظِّلاَلُ، أَذْهَبُ إِلَى جَبَلِ الْمُرِّ وَإِلَى تَلِّ اللُّبَانِ."

(نش ٤ : ٦)

مشاعر نفس اختبرت محبة الله، تراه الراعى بين السوسن - الزهور الجميلة التى تمثل المؤمنين الأتقياء، ولكن مررتها تجارب وأتعاب ومرارة الضغوط والضيقات، حبستها فى ظلمة وظلالٍ، إذ كانت الأتعاب كالجبال الوعرة (المشعبة) التى

تحجب الشمس عن السائر فى وديانها. فيسير الإنسان منا ويحيا فى ظلال يئن منها ويتعجل الزمن الذى فيه تنهزم أى تتراجع وتزول فتطلع الشمس ويستضيء الوجود..

النفس ترى أن السبب هو غياب الحبيب، الذى غيبته هى ربما بأفعالها وإهمالها المتوالى، أو غاب عنها هو تدبيرًا ورعاية، كى تشعر بقيمة وجوده وفداحة خسارتها لو غاب.

فترجوه أن يعود مسرعًا إليها، قافزًا على الجبال المشعبة، جبال أتعابها الوعرة، وطافرًا على التلال، وهو قادر بكل تأكيد، ليرجع إليها مسرعًا مثل صغار الأيائل الملهوفة.

وترى النفس فى حضوره طلوعًا حلوًا للنهار، معه رائحة الأبدية السعيدة ونسيم الملكوت وراحة الأبد. الأمر الذى لما تستشعره النفس تلتقط أنفاسها مختبرةً

حضور الحبيب فتسترد سلام الحياة هنا، فى الزمان والعمر كعربون للراحة.

وإلى أن يأتى ذلك الوقت، تختار النفس التى لها ماضى حب مع الله، المحبة الأولى كما يسميها الكتاب، تختار أن تختفى أو تختبئ فى جبلين؛ جبل المر وتل اللبان.

أو يرشدها إلى ذلك روح الله الذى يقودها ويرغب الرجوع إليها بأشد حرصٍ منها على ذلك.

جبل المر هذا هو أتعابها التى مع مرارتها تفوح منها رائحة الصبر الجميل التى تعطرها، وتل اللبان هو جبل العبادة والصلاة والتضرعات التى تتصاعد كرائحة بخور أمام الله.

وتظل النفس تترجى وتصبر، يعزيها روح الله، وتسليها وتصبرها رائحة المر رغم الألم، وينعشها بخور صلواتها وعطر جهاداتها وصبرها إلى أن يفيح النهار وتنهزم الظلال.